الباب الأول

العقيدة الإسلامية

الإسلام دين الفطرة :

الإسلام دين الفطرة ، وكل مولود يولد على الفطرة ، والفطرة تهدى إلى وجود خالق لهذا الكون ، كما تهدى إلى أنه خالق واحد ، لا أول لأوليته ، ولا آخر لآخريته ، ليس كمثله شيء ، لاينسب إليه البنون لاستغنائه عنهم ، ولا تفنيه السنون ، لأن حياة الخلق وموتهم بيده ، ولا يشاركه فى تدبير الأمور أحد ، لأنه غنى بنفسه عن غيره ، وغيره محتاج إليه على الدوام .

ويقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه : إن الله تعالى عرّف الإنسان به وتجلى له ، كما استنطقه وألهمه الإقرار بربوبيته ، فشهده الإنسان ووحّده ، وأخذ الله عليه عهداً بذلك ، وذلك كله فى عالم آخر غير هذا العالم ، هو عالم الذرّ قبل وجود الأرواح البشرية فى الأبدان . واستدل رضى الله عنه بقوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) .

وكلامه هذا يفسر لك قوله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ، كما يفسر لك قوله تعالى فيما حكاه عن أهل الكفر والشرك فى سورة الزخرف : (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) ، ولم يقبل الله منهم ذلك

التقليد الأعمى ، فقال تعالى اعتراضًا عليهم فى سورة البقرة : (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) .

وقد ركب الخالق فى المخلوق عقلا يفكر به فيما يحيط به من الكائنات ، وهذا العقل يساعد ويساند الفطرة السليمة فى عقيدتها ، غير أن العقل آلة مقيدة بالمحسوسات فهو يجول حول الكون ولايستطيع أن ينفذ إلى ما وراء المحسوسات ، فمن اعتمد على العقل وحده دون نور الفطرة أخطأ الطريق واعترته شكوك التيه وصدق من قال :

إن شمس النهار تغرب بالليـــــل وشمس القلوب ليست تغيب

وأداتا المعرفة العقل والروح ، والعقل هو الملكة المدركة للعلوم بواسطة الاستدلال ، وهو الأداة التى يستخدمها فى معرفة الله أرباب النظر العقلى ، والروح هى الملكة المدركة للعلوم بواسطة المذاق المباشر عن وجدان سليم .

والعقيدة الإسلامية تقوم فى أساسها على أنه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإذا نطق الإنسان بهاتين الشهادتين بلسانه ، واعتقدهما بقلبه ، فقد صار مسلماً ، وطولب بما يترتب عليهما من الإيمانيات والعبادات والمعاملات ، كما شرع الله وبلّغ رسوله صلى الله عليه وسلم . وقلب المؤمن مهيأ بفطرته لأن يسع الله بيقينه توحيدًا وإيماناً ومحبة وإخلاصاً ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

والألوهية معناها السيادة المطلقة ، فالشهادة الأولى إقرار بسيادة الله الذى لا شريك له ، والشهادة الثانية إقرار برسالة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا أقرّ إنسان بالشهادة الأولى وأنكر الثانية لا يعدّ مسلماً ،

والأدلة على ذلك كثيرة فى كتاب الله الكريم ، ومنها على سبيل المثال قوله تعالى فى سورة الصف : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) . وهذه الآيات صريحة فى أن سعادة الدنيا والآخرة مرتبطة بأساس العقيدة ، وهو الإيمان بالله ورسوله . وكذلك قوله تعالى فى سورة الحديد يخاطب المؤمنين بالرسل السابقة على الرسالة المحمدية (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) . وقد آتى الله سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم فضله ، ولا مانع لما أعطى الله .

ولم تكن الرسالة المحمدية الأُولى من نوعها ، بل سبقتها رسالات إخوانه المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، ويجب الإيمان بهم كما يجب الإيمان به ، ويقول تعالى فى هذا المقام مثلا فى سورة الحديد : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فى

قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) .

والحكمة فى إرسال الرسل إنما هى لتذكيرهم بما نسوا ، وإرشادهم إلى فطرتهم التى حجبتها عنهم شهوات الجسد الذى لابسته الروح وهم أجنة فى بطون أمهاتهم ، وتلك الرسالات إنما هى رحمة من الله بعباده لئلا يكون للناس عليه حجة بعد الرسل الذين هم حجة الله على خلقه : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) .

وقد دعا الله الناس إلى التفكر فيما يحيط بهم من آثار قدرته تعالى ، وعاون عقولهم فى رسم طرق التفكر ، فقال تعالى مثلا فى سورة الأعراف : (أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَوَ لَمْ يَنْظُرُوا فِى مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَىْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ) ، وقال تعالى فى سورة سبأ : (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) ، ويقول تعالى فى سورة الطارق : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ

والتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ) . ويقول إمامنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه : عجبت لمن شك فى النشأة الآخرة ، وهو يرى النشأة الأولى . ويقول تعالى فى سورة الغاشية : (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) ، ويقول تعالى فى سورة عبس : (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) ، ويقول تعالى فى سورة فاطر : (يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) * أى تصرفون عن الحق .

ثم إنه تعالى بعد أن دعا العوام إلى التفكر فى المحسوسات دعا أهل العلم إلى التفكر من طريق العلم ، فقال تعالى فى سورة النساء : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ، أى لو كان من عند البشر لاعتراه ما يعترى كلام البشر من تناقض المعنى ، وتفاوت الأسلوب قوة وضعفاً ، فكان بعضه فصيحاً وبعضه ركيكًا ، ولما تحققت أخباره الغيبية التى نبأت عن حوادث مستقبلة ، فوقعت كما صورها الله قبل أن تقع ، وليس ذلك التدبر العلمى فى مقدور العوام ، بل هو من شأن العلماء الواقفين على أساليب البلاغة ودقائق البيان ورقائق المعانى ، وما يعقلها إلا العالمون .

ولقد كنت أذكر ليلا كلمة التوحيد : « لا إله الا الله » ، وأراعى وأنا أذكرها معناها وهو : لا معبود بحق إلا الله ، وأطوى فى قلبى فى كل مرة من ذكرها « محمد رسول الله » ، فإذا بلبى يذهب فى فسيح آفاق تلك الكلمة الحقة ، وينتهى فيما ذهب إليه إلى أنها كلمة الوجود كله ، ولولاها ما قام الوجود ولا كان موجود من إنسان وحيوان وجماد وجنّ وملائكة وسموات وأرض ونجوم وكواكب وبحار

وأنهار وجبال ، ولما قامت الرسالات السماوية ، ولما نزلت الكتب القدسية والشرائع الربانية ، ولما خلق الله جنة وناراً ، وثواباً وعقاباً ، وسعادة وشقاء فى الدنيا والآخرة ، وهى كلمة التقوى بحق كما سماها الله تعالى فى قوله الكريم فى سورة الفتح : (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَق بِهَا وَأَهْلَهَا وَكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) .

وصدق سيدى الإمام المرسى أبو العباس رضى الله عنه إذ يقول : ليست الفتوة بالماء والملح[1] بل هى بالإيمان والهدى كما قال تعالى فى أهل الكهف : (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) . وقد بين الله تعالى حكمة الخلق فقال تعالى فى سورة الذاريات : (وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) . قال ابن عباس فى معنى يعبدون أى يعرفون ، ومن ذلك يتبين لنا أن معرفة الله هى أول فرض افترضه الله على عباده

وفى مناسبة الاستدلال على وجود الله تعالى وتوحيده أرى من المفيد أن أنقل للسادة القراء رسالة كانت جاءتنى فى آخر سنة ١٩٦٢ من شاب مثقف — طالب بكلية التجارة — شكا لى فيها حاله، وكشف عما يساوره من حيرة ، وقد أعجبتنى صراحته كما أعجبتنى استشارته لى ، وكان قد قرأ لى محاضرة ألقيتها بنادى التجارة فى « محبة الله تعالى » وقد أجبته حينئذ بالجواب الذى يراه القارئ الكريم بعد الرسالة، ولم أرد أن أذكر اسمه خشية أن يكون فى ذكره حرج عليه ، لأنى إنما قصدت من نشر الرسالة والرد عليها لبّ الموضوع .

---

(١) يقصد بالماء والملح قوة البدن . وقوة الروح بالإيمان والهدى هى الأهم لأنها أبقى أثراً بعد الموت أما قوة البدن فتتلاشى بالموت .

وها هى ذى رسالته

القاهرة فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٢ :

السيد الأستاذ حسن كامل الملطاوى

تحية طيبة

« اسمح لى يا سيدى أن أقدم نفسى لسيادتكم :

فلان . . موظف بجهة . . طالب بكلية التجارة ، أبلغ من العمر ٢٤ عامًا ، أى تلك السن التى تتصارع فى نفس الفرد منا رغبات عنيفة ، وتتصادم فى داخل عقله مختلف الأفكار التى قدمتها لنا مدنية القرن العشرين مع ما قدمت من تقدم هائل فى نواحى العلم والفن ، إلى جانب تلك الأفكار الفلسفية المختلفة فى وجود الله ووجود الإنسان ، فى حقيقة الكون وارتباطه بالقوى الغيبية التى تسيطر عليه .

إن تلك الأفكار بتأثيرها تسيطر على أمثالنا من الشباب فإننا ننشأ على الإيمان الفطرى إذ وجدنا ذوينا مؤمنين فآمنا ، حتى إذا استقل الفرد منا بعقله وفكره بدأت أمواج الشك تتلاعب فى مخيلته ، وبدأت أعاصير الشهوة تفرض عليه نوعًا من التحلل من تعاليم دينه ، وتدفعه إلى تدبير ما يرتكب من آثام ، حتى إذا بلغ من ذلك مبلغًا أحس باليأس والقنوط من نفسه ، فإذا هو ساخط متبرم بالحياة ومن عليها ، ساخط على ربه الذى خلقه ، جاعل من عقله وسيلة يسيرها على حسب هواه .

وهذا هو ما حدث لى عقب عدة أحداث هزت كيانى . . . فشلٌ أسلمنى إلى نوع من الخمول والجحود إلى سلبية عجيبة أعقبتها ثورة على كل ما تعارف عليه الناس من تقاليد ، وكنت أحاول أن أجد تبريراً لأفعالى وتصرفاتى فلا أجد فأزداد انحداراً فى الهوة .

ولكن فى داخلى شىء يتلوى ، شىء يهيب بى أن أرجع عما أنا فيه ، وفجأة أحس بالقدرة على نفسى ، على وجودى ، وأتساءل : أين الله ليعطينى كما أعطى غيرى الهداية ، وإذا كان قد حرمنى منها فلماذا خلق لى ذلك القلب الخفاق بالأمل والحب ، لماذا جعلنى ذلك الإنسان الحساس المتألم . أين الحكمة فى ذلك ؟ لماذا خلق لى قلبًا خفاقًا وحرمنى الحب ؟ لماذا خلق لى نفسًا طموحًا .

وخلق فيها الأمل وحرمنى القدرة على تحقيقه ؟ لماذا خلق العقل لأفكر وأدبر وحرمنى القدرة على تنظيم فكرى وتدبير أمرى ؟

أى نموذج لعدة متناقضات أنا ؟ فأين التكامل فى خلقى ؟ أين التكامل بين قدراتى ؟ من المسئول عما وصلت إليه ؟

هل المسئول هو أنا ؟ الإنسان العاجز الضعيف الذى ليس بيده أى أمر ؟ أنا الإنسان المسير فى أعمالى ، أنا الذى جئت للدنيا دون أن أعلم ودون أن أستشار ، أنا الذى كان وجودى فى الحياة رهن قوى لا أعلمها ، أنا الذى ضيع القدر آمالى وأحلامى ،

وبعد كل هذا ماذا أفعل ؟ إلى أين أسير ؟ إنى أنادى الله فى عليائه عبداً من عباده فليجبنى إن كان موجوداً ، إنى أناديه باسم حقى الطبيعى الذى أعطاه لى يوم خلقنى وجعلنى عبداً من عباده وجعل لى عقلا يفكر ، وقلباً يخفق ، ونفساً تهفو ، باسم ما حرم وما حلل ، باسم الآمال التى خلقها فى قلبى ، وباسم الفشل الذى كان من نصيبى ،

إنى أناديه باسم الله باسم الرب ، إنى أناديه باسم الخالق الذى خلقنى فليجبنى ، فأنا أنتظر ، أريد أن يطمئن قلبى وتهدأ نفسى ، أريد أن أستريح .

لقد بعدت الشقة بيننا وبين ما سبقنا من رسله وأنبيائه ، وفى الطريق الطويل عبر القرون ضاعت معالم الإيمان وتزعزعت الحقيقة فى القلوب ، ومع موجات الفكر الجديد كادت تمحى الصورة نهائياً .

واليوم من واجب الله نحو خلقه أن يعطيهم النور الذى يهتدون به ، النور الذى يبدد ظلمات الشك والريب التى تعصف بكيان كل شاب الآن ، إننا فى عذاب ، لقد كانت الطفرة الأخيرة التى انتقل بها جيل بعد جيل لها أكبر الأثر فى نفوسنا ، فالتقدم الهائل الذى تعيش فيه البشرية لايقابله تقدم فى نواحى الحياة الأخرى ، فالتقاليد من وراء الحياة تلهث فلاهى مستطيعة اللحاق بالركب ولا هى تاركة الركب يسير

والدين وأهله ورجاله فى موقف المتفرج على الحياة ، قنعوا من الحياة باللقمة التى يأكلونها وقنعوا من العلم بالكلمات التى يرددونها ، فهل تركنا الله يا سيدى ؟

وإذا كان تركنا فلماذا كان خلقنا أصلا ؟ هل خلقنا ليتركنا ؟ لا ، فالعادل لايترك من خلقه وذلك شأن السيد العادل ، لايترك عبده فى حيرته بل هو يقدم الهداية ويبصره بالنور .

إننى أبحث عن النور والهداية ، إننى أبحث عن الله فى رحمته ومحبته ..

سيدى ، أظنك تتساءل : لماذا أكتب إليك كل هذا ؟ وإليك السبب ، لقد وقع بين يدى مصادفة صفحات بقلمك عن محبة الله وعشت فى الكتاب وبين سطوره بكل إحساسى وكيانى ، كنت أحاول أن أجد بين سطوره بصيص نور أو أمل ، ولكنى وجدت نفسى بعيداً كل البعد عما جاء فى الكتاب ، وأحسست أنى أتضاءل أمام كلماته ، فقررت أن أكتب إليك وأفتح قلبى وأفضى إليك بمكنون نفسى وأسألك كيف السبيل وأين الطريق ؟ »

ولدك

فلان

وها هو ذا ردى على الكتاب سالف الذكر :

القاهرة فى ٣ يناير سنة ١٩٦٣

إلى السيد . . . . .

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد — فلقد تلقيت كتابكم المحرر فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٢ ، وأبادلكم تحية بتحية ، وأشكر لك حسن ظنك بى والكتابة إلى فى موضوع شغلك وأقلق بالك ، تلتمس المخرج مما يحيرك فى أمر العقيدة ، والقضاء والقدر ، ووجود الله ، وتخلف المسلمين عن ركب الحياة . . . إلخ .

والشك الذى يساورك سرنى ، لأنه بداية السعى لليقين وتعرف الحقيقة وإنك إنما تريد أن تقوم عقيدتك على اقتناع شخصى منك ، لاتقلد فيه والديك أو غيرهما من الناس .

وهذا الاتجاه فى ذاته دليل الخير فيك ، والأمر سهل جداً وصعب جداً ، سهل لمن فكر بالمنطق الفطرى فنظر إلى وجوده من عدم ، ثم كان بشراً سوياً ، له حيويته وتطوره من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة ، ثم هو بعد ذلك ميت لا محالة ، لا يدرأ عنه الموت أحد ، ولو اجتمع على مد حياته كل أطباء العالم ، واتخذوا فى هذا الشأن ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

ثم إنهم يعجزون عن أن يخلقوا فى غيره روحاً كالتى تدب فيه ، فإذن عجز البشر واضح فى بداية الإنسان ونهايته .

وهذا التفاوت الذى تراه بين الناس فى أرزاقهم وعقولهم وآجالهم وصحتهم كذلك يدل على تدبير ليس فى أيديهم .

فلا حيلة لك فى اختيار والديك ولا الوطن الذى نشأت فيه .

ثم هذا الكون بما فيه من بدائع المصنوعات والمخلوقات ، من شمس وقمر ونجوم وسماوات مرفوعة بغير عمد ، وليل ونهار يختلفان ، وزروع وأنهار عذبة وبحار ملحة وجبال ورمال ومعادن . . إلخ كلها مسخرة فى خدمة الإنسان .

كل هذه الظواهر إنما تدل على وجود صانع للإنسان ولغيره من المخلوقات والكائنات .

ولو فرضنا أن لها أكثر من صانع واحد لأدى بنا هذا الفرض إلى أن ما يصنعه واحد ، يعجز عنه الآخر بحكم تخصصه فى خلق أشياء دون أشياء ، ولتصورنا أنه لو قام خلاف بين الصناع لفسد الكون من شمس تحتجب عناداً فى زميله ، ومن أنهار تغيض ، ومن نبات لاينبت ، وتكون النتيجة موت الخلق بانعدام أسباب الحياة .

إذن فالتوحيد واضح ، وإن هذا الصانع لابد أن يكون واحداً ، وألا يكون من جنس ما صنع ، وإلا كان مصنوعاً مثل ما صنع وله صانع ، والمصنوع عاجز ومحدود ، وإذن وجوده من ذاته لا من غيره .

ومؤدى ذلك وجود صانع غير مصنوع وغير مشارك ومخالف للمصنوعات .

وبما أن المصنوعات من الحوادث التى لها بداية ولها نهاية ، فلابد ألا تكون له بداية وألا تكون له نهاية .

فثبت بهذا المنطق الوحدانية والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث وهى كلها صفات ليست للمخلوقات ، بل هى لله وحده .

أما المخلوقات فلها التعدد ولها بداية ولها نهاية ولها شبيه .

وظاهرة تتكرر بين الناس فى كل يوم وليلة ، هى ظاهرة النوم قهراً وظاهرة الاستيقاظ بعد النوم ، ومهما قاومها الإنسان فهى غلابة ، وهذه الظاهرة تدل على الموت المصغر وعلى البعث المصغر ، فهناك إماتة وقتية وبعث وقتى ، وهى ظاهرة تغلب فيها القوة الخفية التى تتحلى بالصفات المذكورة، وهى قوة الله .

وهذا الصانع الذى له الوحدانية والقدم والبقاء والمخالفة للحوادث والذى تظهر آثاره فى هذا الكون المحيط بنا ، هو الله سبحانه وتعالى ، ولا شبهة فى وجوده ، كما لاشبهة فى الصفات الواجبة التى ذكرتها لك .

أما العقل وهو ما ميز به الإنسان فوراءه روح تفوق العقل اتساعاً وانفساحاً ، وهى من أسرار الله ، بل إنها لو غابت عن العقل لفقد تفكيره ، والدليل أنه إذا مات الميت جمد المتحرك منه ويبست أعضاؤه ثم تفتتت عظامه وفقد عقله ، كل ذلك لخروج الروح منه التى كانت مودعة فيه بسر إلهى .

وهذه الروح جوهر لطيف وسر كما قلنا من أسرار الله، تسعد باتصالها بالله والاعتقاد فى وحدانيته، وفى قضائه وقدره ، وفى البعث بقدرته يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .

أما تخلف المسلمين عن ركب الحياة فإنهم تخلفوا لتركهم أسباب التقدم ، لأن الله ربط الأسباب بالمسببات ، فهو مثلا سبحانه رازق العباد جميعًا ، ولكنه أمرهم أن يسعوا لذلك الرزق بأسبابه من زروع وتجارات وصناعات . . إلخ ، فمن ترك الأسباب فقد خالف ناموس الله ، فإذا لم يجد رزقًا لا يلوم إلا نفسه . وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : « لايقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة » .

كذلك جعل الله النصر على الأعداء بأسبابه فقال : (وأعدُّوا لهُمْ مَااسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّة) ، فمن أهمل فى هذا الجانب وكتبت عليه الهزيمة لايلوم إلا نفسه وهكذا . . . .

ومسايرة ركب الحياة ارتبطت بالعلم وموالاته ، وأنت تعلم أن المسلمين ظلوا القرون الطوال مغلوبين على أمرهم من أعدائهم ، فخلفوهم عن ركب الحياة ليكون المغنم للمستعمرين والغرم على بلاد المسلمين ، ولكننا والحمد لله بدأنا فى هذا العهد الأخير نسترد حريتنا ، ونبنى مجدنا ، ونرفع رؤوسنا ؛ وإن شاء الله فسنكون بالصبر والمثابرة فى الطليعة بإذن الله .

أما أنك وجدت الفرق بعيداً بين ما تجد نفسك فيه وبين ما قرأته فى محاضرتى عن « محبة الله » ، فذلك أمر طبيعى ، لأنك قرأت عن أهل الذروة فى الإيمان ، وهم أشبه بالمتخصصين المتعمقين ، ونحن وأنتم ما زلنا فى بداية طريق الإيمان ، ومن سار على الدرب وصل ، وفى الأمثال الصينية حكمة يقولون فيها : (إذا خرجت من بيتك فقد قطعت ثلثى الطريق) ، والنية الطيبة والإيمان الثابت يوصلان الإنسان إلى غايته بعون الله وتيسيره .

هذا ، ويسرنى أن أخبرك أنى سأحاضر بقاعة المحاضرات الأزهرية (قاعة الإمام محمد عبده) بالدراسة يوم الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩٦٣ الساعة السادسة مساء فى موضوع تتصل جوانبه بما يشغلك وموضوع المحاضرة « التصوف من وحى القرآن والسنة » . وأود لو تيسر لك الاستماع يومها لما أقول .

وأكون شاكراً لو قدمت لى شخصك بعد أن اتصلت بى بالمكاتبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . »

حسن كامل الملطاوى

الإسلام دين عام :

وكما أن الإسلام دين الفطرة فهو كذلك دين عام ، وإليك ما يقوله فى هذا الشأن فضيلة العالم المرحوم الشيخ يوسف الدجوى فى كتابه « الرسائل » :

الإسلام دين عام ، جاء بإصلاح العقائد التى لعبت بها الأهواء ، مصدقاً لجميع الكتب ومهيمناً عليها ، محترماً لجميع الأنبياء ، وليس بالدين ذى الأنانية الذى يعادى أربابه كل من سواهم ، ولا يعتقدون إلا فى رسولهم الخاص ، ويرمون من عداهم بالكذب والبهتان .

« . . . فكان دين الإسلام جامعاً للناس على الرسل غير مفرق بينهم قائلا لهم : (قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) .

« ويقول لأهل الكتاب : (يٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) ، وينهاهم عما كانوا يفعلونه بقوله : (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ . وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ، فهو يريد أن يجمعهم على الأنبياء جميعاً ، ويرجعهم إلى أصول دينهم الحقة .

« . . . إن تعاليم الدين الإسلامى الحنيف مبنية على أساس متين من الحكمة ، لا يزعزعه شىء ، ولا يؤثر فيه مؤثر ، ومبادئه عقلية بحتة ، لم يدخلها شىء من أوهام النفس ، ولا من خرافات الاعتقادات ، ولا فاسدات العادات . . . لذلك كانت الدعوة إليه عامة ، لا تختص بعربى دون عجمى ، ولا بحضرى دون بدوى ، لموافقة مبادئه لكل الأمم على شكل واحد ونسبة واحدة ، ولذلك يسمى « الدين الفطرى » .

الإسلام والعقل :

« . . إن الإسلام يقول لمتبعيه : تفكروا ، تدبروا ، انظروا ، إلى كثير من

أمثال ذلك مما ورد فى القرآن الكريم، إنا نقول لبنى الإنسان بصوت يملأ الخافقين ، ويسمع جميع الثقلين : حاكموا هذا الدين أمام العقل ، حاكموه أمام الوجدان ، حاكموه أمام البرهان ،حاكموه أمام المدنية والعمران ، حاكموه أمام شرائع المشرعين وقوانين المقننين وآداب المؤدبين ، حاكموه أمام أخلاقكم ومستحسن عاداتكم،حاكموه أمام فلسفتكم وروحانياتكم ، قارنوا بين تاريخه وتواريخ الدول والأديان ، انظروا فيه بالميكرسكوب والتلسكوب ، حللوه بما شئتم من التحليلات ، امتحنوه بما أردتم من الامتحانات على شرط الإنصاف وعدم التعصب ، فستنطق ظواهره الطبيعية والروحانية بأنه منبع كل خير وجماع كل فضيلة » .

الإسلام دين الوحدانية فى جميع الرسالات :

ويقول فضيلة العالم الشيخ محمد أبوزهرة ، مدّ الله فى عمره ، فى كتابه « العقيدة الإسلامية » :

« الإسلام دين الوحدانية ، وهو لهذا الدين الجامع بين الديانات السماوية كلها ، فهو الذى سجّل فى مصدره الأول ، وهو القرآن الكريم ، أن التوحيد هو الأساس فى الديانات السماوية كلها . . . ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ، وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾ .

« . . . التوحيد إذن دين الأنبياء جميعًا ، وهو أقوى وحدة جامعة بين رسالات الله سبحانه وتعالى إلى خلقه . . .

« . . . ووحدانية الذات الإلهية وعدم مشابهتها للحوادث ، ركن من أركان الوحدانية ، لايسع مؤمنًا أن يجهله ، ولا يعتبر موحداً من لايؤمن به ، وقد اتفق

العلماء على أن الله تعالى منزه عن أن يكون متّصفاً بما تتصف الحوادث به، فليس له يد كأيدى الناس ، ولا عين كعيونهم ، ولا وجه كوجوههم .

الله هو الخالق الفعال :

« . . . والعقيدة الإسلامية (فى ركنها الثانى) تقوم على أن الله تعالى خالق كل شىء وأنه تعالى فعال لما يريد ، وأنه لا يمكن أن يقع فى ملكه إلا ما يشاؤه ، ولا مشيئة فى تسيير هذا الوجود لسواه، ولكن ذلك لا يمنع أن العبد مسؤول عما يفعل، ومجزىّ بما يفعل إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشر ، وأنه تعالى الحكم العدل اللطيف ، وأنه سبحانه كلف كل التكليفات ، والعبد مختار بالقدر الذى يتحمل به تبعة ما يفعل ، وهو يحس بأنه يفعل ما يفعل مريداً مختاراً . هذا ما تقرره النصوص القرآنية . وما وضحته الأحاديث النبوية ، وهو ما لا يصح لمسلم أن يجهله » .

الصحابة والقدر :

« وكان الصحابة يؤمنون بقدرة الله تعالى ، وبأنه خالق كل شىء ، ويؤمنون بالقدر ولا يخوضون فيه ، بل إذا جاء القدر أمسكوا . . ولقد سأل أحد الناس الإمام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرّم الله وجهه عن القضاء والقدر وصلته بالجزاء ، فأجابه بما يزيل الشبهة من غير خوض ، ثم ختم كلامه بقوله :

« إن الله أمر تخييراً، ونهى تحذيراً ، وكلف تيسيراً ، ولم يُعص مغلوبًا ولم يرسل الرسل إلى خلقه عبثًا، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار » .

الإمام أبو حنيفة والقدَر :

« ولقد قال الإمام أبو حنيفة رضى الله تبارك وتعالى عنه فى القدر : هذه مسألة قد استعصت على الناس فأنّى يطيقونها ، هذه مسألة مقفلة قد ضلّ مفتاحها ، فإن وجد مفتاحها علم ما فيها ، ولم يفتح إلا بمخبر من الله تعالى ويأتيه ببينة وبرهان » .

ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة :

« وإن الذى يستخلص من كلام إمام الهدى علىّ بن أبى طالب الذى نقلناه آنفًا ، أن علينا أن نطيع الله تعالى فيما أمرنا به ، وأن نجتنب مانهانا عنه ، وحسبنا فى ذلك أننا نعلم ونحس ونشعر بأننا مختارون فيما نفعل ، وأننا فى استطاعتنا أن نفعل وألا نفعل ، وأنه يكفى ذلك لنشعر بما يجب علينا ، ومالا يصح لنا ، إن الاشتغال عن ذلك بتعرّف أمر مغلق قد ضاع مفتاحه لايجدى فتيلا » .

ولقد قال فى ذلك الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه :

« إن الله تعالى أراد بنا شيئًا ، وأراد منا شيئا ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا » .

« فهو رضى الله عنه يندّد بالذين ينصرفون عن التكليف إلى الكلام فيما كتبه الله علينا من خير أوشر ، والعصاة هم الذين يبررون عصيانهم بما كتبه الله تعالى، ومنهم الذين يثيرون هذه القضية ، ليضعفوا العزائم عن العمل .

« ولقد ذكر القرآن الكريم أن المشركين قد احتجوا على عبادتهم الأوثان بأن الله تعالى لوشاء ألا يعبدوها ما عبدوها، وردّ الله عليهم قولهم بأنهم ما علموا مشيئة الله فيهم وأشركوا لأجلها ، وإليك كلام الله تعالى :

(سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا ،قُلْ هَلْ عِنْدَكُم مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ، قُلْ فَلِلَّهِ الحجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) .

« ونرى من هذا أن المشركين والمكذبين جميعًا يسندون ما يفعلونه إلى الله تعالى ، على أساس أن الله تعالى لو شاء ألا يفعلوه ما فعلوه ، وأن الحجة القائمة عليهم ألاّ حجة عندهم على أن الله تعالى أراد لهم ذلك ، ويؤكد سبحانه أن مشيئة الله هى الغالبة (فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) ولكن ذلك لا يلقى عنكم التبعة » .

عبادة الله وحده :

« . . . وانفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والتكوين يقتضى ألا يعبد سواه ، ووحدانية ذاته وصفاته وأنه ليس كمثله شيء يقتضى ألا يعبد سواه ، لأنه لا يعبد إلا من انفرد بالوجود الكامل، وعلا عن التشبيه والنظير ، والعبادة تكون بالطريق التى بينها سبحانه وتعالى . .

« فلا نعبده بأهوائنا ، بل نعبده بما أوحى به إلى رسوله الأمين . . . . وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ، وبعد انتقاله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، صار كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هما وحدهما الطريق لمعرفة العبادة لله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ، « تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا من بعدى أبداً ، كتاب الله تعالى وسنتى » .

الأحبار والرهبان :

« وقد نعى الله تعالى على اليهود والنصارى أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وقال تعالى فيهم : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ بْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

« وقد كانو يأخذون دينهم من الأحبار والرهبان ، من غير رجوع إلى أصل الكتاب ، ويعتبرون كلامهم حجة ، من غير أن يبينوا سنده وأصله ، وبذلك كانوا أرباباً من دون الله . . . وصحّ ما قاله الله فيهم : (إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) .

الفقهاء المجتهدون :

« وليس شأن الفقهاء المجتهدين فى الإسلام كشأن هؤلاء ، لأنهم مفسرون مستنبطون للأدلة من الكتاب والسنة ، فإن أصابوا فى الفهم فبتوفيق الله ، وإن

أخطأوا فمن أنفسهم ، وليسوا محتكرين للفهم ، بل كل من استوفى شروط الاجتهاد له أن يتعرف الأحكام فى الكتاب والسنة » .

كلمة التقوى :

ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة :

« والكلمة الجامعة للعقيدة الإسلامية هى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وهى التى نرددها فى كل صلاة ، وهى التى كان يدعو بها النبى صلى الله عليه وسلم بدعايته ، وهى التى يدعو إليها كل داع للإسلام ، وهى فَيْصَل التفرقة بين الكفر والإيمان ، وهى الأساس للبناء التكليفى للإنسان .

« والشهادة الأولى « لا إله إلا الله » تضمنت نفيًا وإثباتا ، أو تضمنت قصراً وتخصيصًا ، تضمنت نفى الألوهية عن غيره ، وتضمنت بالاستثناء بعد النفى إثبات الألوهية له .

« والألوهية هى استحقاقه العبادة وحده ، ولكن استحقاق العبودية له لا يكون إلا إذا كان هو المتفضل بالنعم وحده ، فهو الذى أنعم بالوجود ، وشكر النعم واجب بحكم العقل والمنطق .

« والشهادة الثانية « محمد رسول الله » تتضمن الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه رسول من عند الله تعالى رب العالمين ، أرسله لهداية البشر أجمعين ، وأن الإيمان بالرسالة المحمدية يتضمن الإذعان للمعجزة التى أثبت بها رسالته ، والتى تحدى بها الذين خاطبهم أن يأتوا بمثلها ، وأنه لا يمكن لأحد أن يأتى بمثلها : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) .

« ويتضمن الإيمان برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الإيمان بأن الله تعالى يكلم عباده إمّا بالوحى يوحيه ، وإما بخطابه من وراء حجاب ، وإما برسول من الملائكة يرسله إليه ، كما قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ

اللهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ) ، وقال تعالى : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

وتتضمن الشهادة بأَن محمداً رسول الله تصديقه فى كل ما أمر به ، وكل ما نهى عنه ، سواء أكان ذلك بياناً للقرآن ، أم كان بياناً لما أوحى الله تعالى به : (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) .

طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه :

« فكل ما قرره النبى صلى الله عليه وسلم يجب الإذعان له ، على أنه حكم الله تعالى ، (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ) ، وقال تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) .

« فالشهادة بالرسالة تقتضى لا محالة الإيمان بصدق كل ما جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيجب الإيمان بفرضية الصلاة والزكاة والحج وعدد الصلوات ، ومعانى الحج ومناسكه ، وكونه إلى البيت الحرام ، وكون ركنه الأكبر الوقوف بعرفة . وكذلك تحريم الربا ، وتحريم الخمر والميسر والزنا ، والإقرار بأن عقوبتها هى ما جاءت فى القرآن الكريم .

« ويعد كافراً من أنكر الأحكام الثابتة فى القرآن . وكذلك يعد كافراً من ينكر أمراً مما علم من الحقائق الدينية بالضرورة ، وتواتر العلم به جيلا بعد جيل ، من عصر النبى صلى الله عليه وسلم » .

الأمة المحمدية وشريعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومابعدها :

ويقول فضيلة الشيخ أبو زهرة :

« وإن أمة محمد الذين يتبعونه حقًّا وصدقًا ، هم الذين أحيوا شريعة أبى

الأنبياء إبراهيم ، ومن جاء بعده من النبيين من ناحية الأصول المقررة الثابتة التى لا تختلف فيها الأقوام ، ولذلك قال الله تعالى :

(وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِى هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) . كما قال تعالى : (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّين مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُر على الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) .

« . . . فالمؤمن بمحمد مؤمن بعيسى ، والمسيحى الذى يدخل فى الإسلام لا يخرج من المسيحية التى جاء بها عيسى عليه السلام ، ولكنه يدخل فيها كاملة غير منقوصة ، لأنه بَشَّرَ بسيدنا محمد (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ) — ولقد سئل قس دخل فى الإسلام : لم خرجت من المسيحية ؟ فقال : ما خرجت منها ولكنى أدركتها صحيحة ، وسرت فيها إلى كمالها ، وكمالها بالإيمان بمحمد عليه السلام — كما أن كمال الإسلام فى الإيمان بكل السابقين ، بل إن ذلك ضمن أصول الإسلام » .

الإيمان بالغيب :

ويقول فضيلته :

« والإيمان بالبعث والحياة الأخرى قرين الإيمان بالغيب ، لأن البعث ليس أمراً مشهوداً بين أيدينا ، بل هو والحياة الآخرة أمران مغيبان .

« ... ولقد كان الماديون يقيسون قياساً ماديًّا ، والقرآن الكريم يردّ قولهم بقياس هو المحكم وحده ، فهم ينفون البعث بأن ما يفنى لا يمكن أن يعود ، وقد ذكر

هذا القياس وَرَدُّهُ فى قوله تعالى : (وضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ • قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ • الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ • أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ • إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) .

مزايا العقيدة الإسلامية :

ويقول العلامة عباس العقاد فى كتابه « حقائق الإسلام » فى مزايا العقيدة الإسلامية :

« وتوصف العقيدة الإسلامية بالشمول ، لأنها تشمل الأمم الإنسانية جميعًا ، كما تشمل النفس الإنسانية بجملتها من عقل وروح وضمير .

« فليس الإسلام دين أمة واحدة ، ولا هو دين طبقة واحدة ، وليس هو للسادة المسلطين دون الضعفاء المسخرين ، ولا هو للضعفاء المسخرين دون السادة المسلطين ، رسالة تشمل بنى الإنسان من كل جنس وملّة وقبيلة (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) ـ (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ـ (قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ـ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) .

« فهذه عقيدة إنسانية شاملة ، لا تخص بنعمة الله أمة من الأمم لأنها سلالة مختارة دون سائر السلالات ، لفضيلة غير فضيلة العمل

والصلاح (يأيها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [سورة الحجرات .]

وفى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم : " لا فضل لعربىّ على عجمىّ ولا لقرشىّ على حبشىّ إلّا بالتقوى " .

« وليس للإسلام طبقة يؤثرها على طبقة ، أو منزلة يؤثرها على منزلة ، فالناس درجات ، يتفاوتون بالعلم ، ويتفاوتون بالعمل ، ويتفاوتون بالرزق ، ويتفاوتون بالأخلاق ، (يَرْفَعُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [سورة المجادلة] .

(لَا يَسْتَوِى الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) [سورة النساء] .

(وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ) [سورة النحل] .

(هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) [سورة الزمر] .

« وإذا ذكر القرآن الضعف ، فلا يذكره لأن الضعف نعمة أو فضيلة مختارة لذاتها ، ولكنه يذكره ليقول للضعيف إنه أهل لمعرفة الله إذا جاهد وصبر ، وأنف أن يسخر لبه وقلبه للمستكبرين ، وإلا فإنه لمن المجرمين :

(يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) [سورة سبأ] . "

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ . وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) [سورة القصص] .

«وما من ضعيف هو ضعيف إذا صبر على البلاء ، فإذا عرف الصبر عليه ، فإنه لأقوى من العصبة الأشداء . (الْآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

« فما كان الإله الذى يدين به المسلم إله ضعفاء وإله أقوياء ، ولكنه إله مَنْ يعمل ويصبر ويستحق العون بفضل فيه ، جزاؤه أن يكون مع الله ، والله مع الصابرين .

« بهذه العقيدة غلب المسلمون أقوياء الأرض ، ثم صمدوا لغلبة الأقوياء عليهم يوم دالت الدول ، وتبدلت المقادير ، وذاق المسلمون بأس القوة ، مغلوبين مدافعين » .

ويقول كذلك ، رحمه الله ، فى ذلك الكتاب :

« . . فقد جاء الإسلام بالدعوة إلى إله منزه عن لوثة الشرك منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب ، منزه عن التشبيه الذى تسرب من بقايا الوثنية إلى الأديان الكتابية .

« فالله الذى يؤمن به المسلمون إله واحد لم يكن له شركاء (سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) .

« وما هو رب قبيلة ولا سلالة يؤثرها على سواها بغير مأثرة ، ولكنه هو (رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، (يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) [سورة الحجرات] .

وهو واحد أحد (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) [سورة الإخلاص] .

« لا يؤاخذ إنساناً بذنب إنسان ، ولا يحاسب أمة بجريرة أمة سلفت ، ولا يدين العالم كله بغير نذير (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [سورة فاطر] .

(تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ ما كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [سورة البقرة] .

(وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [سورة الإسراء] .

ودينه دين الرحمة والعدل ، تفتتح كل سورة من كتابه : (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) ، (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)[سورة فصلت] ،(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ) [سورة الحديد] ،(وَسِعَ رَبِّى كلَّ شَىءٍ عِلماً) [سورة الأنعام] ، (وَهوَ بكلِّ خلْقٍ عَلِيمٌ) سورة يس .

« . . . فمن صميم بلاد العصبية خرج الدين الذى ينكر العصبية ، ومن جوف بلاد القبائل والعشائر خرج الدين الذى يدعو إلى إله واحد (رب العالمين) ، ورب المشرق والمغرب ، ورب الأمم الإنسانية جمعاء بغير فارق بينها غير فارق الإيمان والصلاح » .

«فالله رب العالمين مالك يوم الدين، لم يكن نسخة محرفة من صورةالله فى عقيدة من العقائد الكتابية ، بل كان هو الأصل الذى يثوب إليه من ينحرف عن العقيدة فى الإله ، كأكمل ما كانت عليه ، وكأكمل ما ينبغى أن يكون » .

مزايا الرسالة المحمدية :

ويتعرض العلامة العقاد لنبوءة سيدنا محمد صلى الله عليهوسلم فيقول رحمه الله:

« . . . إن النبوءة الإسلامية جاءت مصححة متممة لكل ما تقدمها من فكرة عن النبوة ، كما كانت عقيدة الإسلام الإلهية مصححة متممة لكل ما تقدمها من عقائد بنى الإنسان فى الإله .

« وما نحسب أن النبوة تعظم بكرامة قط أكرم لها من التوكيد بعد التوكيد فى القرآن الكريم بتمحيص هذه الرسالة السماوية لهداية الضمائر والعقول ، غير مشروطة بما غبر فى الأوهام ، من قيام النبوة كلها على دعوى الخوارق والإنباء بالمغيبات :

(وَيَقولون لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِهِ فَقلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلهِ فَانْتَظِرُوا إِنى مَعَكمْ منَ الْمُنتظِرِينَ) [سورة يونس] .

(قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ

الْغَيْبَ لَا سْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [سورة الأعراف] . (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [سورة الأنعام] . (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) سورة الأنعام ، فما النبوة بقول ساحر ، ولا يفلح الساحرون ، وما النبي بكاهن ولا مجنون » .

كرامة التكاليف الشرعية :

ويتعرض العلامة العقاد للإنسان، وماشرفه الله به فى التكليف، فيقول رحمه الله:

« ...وارتفاع الإنسان وهبوطه للإنسان منوطان بالتكليف، وقوامه الحرية والتبعة، فهو بأمانة التكليف قابل للصعود إلى قمة الخليقة، وهو بالتكليف قابل للهبوط إلى أسفل سافلين ، وهذه هى الأمانة التى رفعته مكاناً فوق مكان الملائكة ، وهبطت به مقاماً إلى زمرة الشياطين :

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) [سورة الأحزاب] . (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) [سورة القيامة] .

« وبهذه الأمانة ارتفع الإنسان مكاناً علياً فوق مكان الملائكة ، لأنه قادر على الخير والشر ، فله فضل على من يصنع الخير ، لأنه لا يقدر على غيره ، ولا يعرف سواه ، (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَه بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا) [سورة الإسراء] .

« وبهذه الأمانة هبط الإنسان غروراً وسرفاً إلى عداد الشياطين (وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [سورة الأنعام] . (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) [سورة الإسراء] .

« . . . فهذا الإنسان يتردى من أحسن تكوين إلى أسفل سافلين ، ولا يزال فى الحالين إنساناً مكلفاً ، قابلا للنهوض بنفسه بعد العثرة ، قابلا للتوبة بعد الخطيئة ، مُحاسباً بما جنته يداه ، غير محاسب بما جناه سواه (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) [سورة النجم] . (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ) [سورة الإسراء] . (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) [سورة الأنعام] . (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) [سورة التين] .

« هو مخلوق مكلف ، ذلك جماع ما يوصف به الإنسان ، تمييزاً من العجماوات ، وتمييزاً من الأرواح العلوية على السواء .

« ولهذا كان فى أحسن تقويم ،

« ولهذا يرتد إلى أسفل سافلين ،

« وقوام التقويم الحسن : الإيمان ، وعمل الصالحات ، وسبيل الارتداد إلى أسفل سافلين مطاوعة الهوى ، والغرور ، والسرف ، وطغيان الغنى ، ومنع الخير ، والهلع مع البلاء ، والعجلة مع الضعف والإغراء .

« . . . ولعل الصعوبة الكبرى إنما تساور العقل فى فهم قوله تعالى : (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) ، فلم لا يشاء الله أن توتى كل نفس هداها على السواء ؟ تذليل الصعوبة فى الجواب نفسه ، فإن الهداية إذا ركبت فى طبائع الناس كما تركب خصائص الأجسام على السواء بين كل جسم وجسم ، فتلك هى الهداية الآلية التى لا اختلاف بها بين مدارك الأرواح ولوازم الأجسام المادية ، ومن اختار ذلك فإنما يختار لنوع الإنسان منزلة دون منزلته التى كرمته ، وفضلته على سائر المخلوقات .

« فالعدل فيما اختاره الله للإنسان أعم وأكرم مما يختاره الإنسان لنفسه إذا هو آثر الهداية التى تسوى بينه وبين الجماد » .

أقول ، ويؤخذ مما قرره الإمام أبو بكر الكلاباذى فى كتابه « التعرف

لمذهب أهل التصوف « أن الله خالق لأفعال العباد كما هو خالق لأعيانهم (وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) ، وكل ما يفعلونه من خير وشر ، فبقضاء الله وقدره وإرادته ومشيئته ، ولولا ذلك لم يكونوا عبيدًا ولا مربوبين ولا مخلوقين ، يقول تعالى : (قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) ، ويقول : (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) ، وقد قال سيدنا عمر رضى الله عنه : يا رسول الله ، أرأيت ما نعمل فيه ، أعلى أمر قد فرغ منه أو أمر مبتدأ ، فقال : « على أمر فرغ منه » . فقال عمر : أفلا نتكل وندع العمل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم ، « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

ويقول صاحب جوهرة التوحيد :

فخالق لعبده وما عمـــل ... موفق لمن أراد أن يصل
وخاذل لمن أراد بُعـــده ... ومنجز لمن أراد وعـــــده
فوز السعيد عنده فى الأزل ... كذا الشقى ثَمّ لم ينتقل

هوى النفس وضرره :

أقول : ومطاوعة هوى النفس هو شر ما يصيب الإنسان ، فقد حذرنا الله من هواها ، ونصحنا أن ننهاها ، وبيّن لنا أنها أمارة بالسوء ، أى شديدة الإمرة ، كما بيّن لنا ما سيكون يوم القيامة من ربح مخالفتها وخسارة مطاوعتها فى مثل قوله تعالى فى سورة النازعات : (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) ، وشتان بين العقاب والثواب .

وينصحنا سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فيقول : حظ النفس فى المعصية ظاهر جلىّ ، وحظها فى الطاعة باطن خفىّ ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه ، كما يقول : إذا التبس عليك أمران ، فانظر أثقلهما على النفس

فاتبعه ، فإنه لايثقل عليها إلا ما كان حقًّا ، ويقول كذلك : إنما تحتاج إلى معالجة نفسك فى الابتداء ، فإذا ذقت المنة ، جاءت معالجة النفس اختياراً ، فالحلاوة التى كنت تجدها فى المعصية ترجع تجدها فى الطاعة .

أقول : ولا يخفاك أن الشيطان عدو مبين ، ومن آثار عداوته أنه يزين للنفس حب الشهوات ، ليعصى العبد بها ربه ، فيشارك الشيطان فى المعصية ، وقد حذّرنا الله منه ومن كيده فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ، وتقتضى عداوته أن نخالفه اتقاء لشره ، وقد صوّر الله عاقبة مطاوعته أقوى تصوير ، وكشف لنا أنها تنحط بنا إلى خسة الحيوان فى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .

ويصور لنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف الطبائع وتباينها فى قبول دعوة الحق فيقول صلى الله عليه وسلم : « إن مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضًا ، فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة أخرى إنما هى قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأً ، فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله تعالى به ، فعَلِم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » جعلنا الله وإياك ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب .

تفسير وحدانية الذات :

وقد نقل فضيلة الشيخ أبو زهرة عن الإمام الأشعرى رضى الله عنه تفسيره

لوحدانية الذات فى كتابه مقالات الإسلاميين فقال :

«إن الله واحد أحد ، ليس كمثله شىء، وهو السميع البصير ، وليس بجسم ولاشبح ، ولاجثة ولاصورة ، ولالحم ولادم ولاشخص، ولاجوهر ولاعرض ولابذى لون ولا طعم ، ولا رائحة ولامحسة ، ولابذى حرارة ولابرودة ، ولا رطوبة ولايبوسة ، ولا طول ولاعرض ولاعمق ، ولا اجتماع ولاافتراق ، ولابذى أبعاض أو أجزاء ، ولا جوارح ولا أعضاء، وليس بذى جهات ، ولابذى يمين وشمال، وأمام وخلف ، ولا يحيط به مكان ، ولايجرى عليه زمان ، ولاتجوز عليه المماسة أو العزلة ، ولا الحلول فى الأماكن ، ولايوصف بشىء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ، ولا يوصف بأنه متناه ، ولايوصف بمساحة ولا ذهاب فى الجهات ، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود ، لاتدركه الحواس ، ولايقاس بالناس ، ولا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، ولا تجرى عليه الآفات ، ولاتحل به العاهات ، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير شبيه له .

« ولم يزل أولا سابقًا متقدمًا للحادثات ، موجوداً قبل المخلوقات ، ولم يزل حيًّا قادراً ، ولا تحيط به الأوهام ، شىء لاكالأشياء ، عالم قادر حىّ لا كالعلماء القادرين الأحياء ، وأنه القديم وحده ، ولا إله سواه ، ولا شريك له فى ملكه ، ولا وزير له فى سلطانه ، ولامعين على إنشاء ما أنشأ ،وخلق ما خلق ، لم يخلق الخلق على مثال سبق ، وليس خلق شىء بأهون عليه من خلق شىء آخر ، ولا بأصعب عليه منه ، ولايجوز عليه احتراز المنافع ، ولاتلحقه المضار ، ولاينالله السرور واللذات ، ولا يصل إليه الأذى والآلام ، ليس بذى غاية فيتناهى ، ولايجوز عليه الفناء ، ولايلحقه العجز والنقص ، تقدس عن ملامسة النساء ، وعن اتخاذ الصاحبة والأبناء .

المتشابهات فى القرآن الكريم :

يقول الله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ

إِلاَّ أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) .

ويقول العلماء إن المتشابه فى القرآن الكريم نوعان : متشابه لفظى وهى الحروف التى فى أوائل السور ، ومتشابه معنوى كقوله تعالى : (يَدُ اللهُ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) ، وقوله تعالى : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) ، وقوله تعالى : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) ، وقوله تعالى : (الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) إلخ .

وقد قال السلف : نحن نؤمن بما قال الله على ما أراد الله من غير تأويل ، أما رأى الخلف فهو التأويل بمعنى أن اليد تطلق على القدرة ، والوجه على الذات إلخ . . ولكن اتفق السلف والخلف على نفى التشبيه عن الله تعالى ، استنادًا إلى قوله سبحانه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ، وهى آية نفت التشبيه بحرفى الكاف والمثل ، فكأنه تعالى يقول : ليس كهو شىء ، وليس مثله شىء ، وكذلك يقول تعالى : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) ، كما يقول جل جلاله : (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) ، والقاعدة التى نخرج بها من كل ما تقدم هى : كل ماخطر ببالك فهو هالك ، والله بخلاف ذلك ، والأسلم لنا والحالة هذه أن نقول : نؤمن بالمتشابهات)على ما أراد الله منها .

وقد سئل الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه : لماذا تركت علم الكلام — أى الكلام فى التوحيد — إلى الفقه ؟ فقال رضى الله عنه : « إن الخطأ فى العقيدة يرمى صاحبه بالكفر ، أما الخطأ فى الفقه فإن صاحبه يرمى بالمخالفة » .

وجاء فى حاشية الإمام الباجورى على الجوهرة : سأل رجل الإمام مالكاً عن قوله تعالى : (الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ،فأطرق رأسه مليًّا ثم قال :الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وما أظنك إلا ضالاً . فأمر به فأخرج .

وسأل الزمخشرى الإمام الغزالى عن الآية المذكورة فأجابه بقوله :

إذا استحال أن تعرف نفسك بكيفية أو أينية ، فكيف يليق بعبوديتك أن

تصفه تعالى بأيْن أو كيف وهو مقدّس عن ذلك ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عنى ما أقول ... قصر القول فذا شرح يطول
ثَمّ سرٌّ غامض من دونه ... قصرت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا تد ... رك من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفات ركبت ... فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها ... هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها ... لا ولا تدرى متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا ... غلب النوم فقل لى ياجهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه ... كيف يجرى منك أم كيف تبول
فإذا كانت طوايا لك التى ... بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدرى من على العرش استوى ... لاتقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يرى ... فلعمرى ليس ذا إلا فضول
فهو لا أيْن ولا كيْف له ... وهو رب الكيف والكيْف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له ... وهو فى كل النواحى لا يزول
جل ذاتاً وصفات وسما ... وتعالى قدره عما تقول

السادة الصوفية وتوحيد الله تعالى :

أقول ومما قاله السادة الصوفية فى التوحيد :

إنْ قُلْتَ متى ، فقد سبق الوقت كونه . .

وإنْ قُلْتَ أين فقد تقدّم المكان وجوده . . .

لاتجتمع صفتان لغيره فى وقت ، ولا يكون بهما على التضادّ ، فهو باطن فى ظهوره ، ظاهر فى استتاره ، فهو الظاهر الباطن ، القريب البعيد ، امتناعاً بذلك عن الخلق أن يشبهوه . .

ليس لذاته تكييف ، ولا لفعله تكليف . .

لا تدركه العيون ، ولاتهجم عليه الظنون ، ولا تتغير صفاته ، ولا تتبدل أسماؤه ، لم يزل كذلك ، ولايزال كذلك ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم ، ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير .

وأجمعوا على أن القرآن كلام الله تعالى على الحقيقة ، وأنه ليس بمخلوق ولا محدث ولاحدث، وأنه متلو بألسنتنا، مكتوب فى مصاحفنا ، محفوظ فى صدورنا، غير حال فيها ، كما أن الله تعالى معلوم بقلوبنا ، مذكور بألسنتنا ، معبود فى مساجدنا ، غير حال فيها .

وأجمعوا على أنه تعالى يُرى بالأبصار فى الآخرة (أى بلا إحاطة كما سيأتى) وأنه يراه المؤمنون دون الكافرين ، لأن ذلك كرامة من الله تعالى ، لقوله : (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) ، وجاءت الرواية بأن الزيادة هى الرؤية : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ؛ فى حين يقول فى الكافرين : (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ). وقوله تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) فى الدنيا ، كذلك فى الآخرة ، وإنما نفى الله الإدراك بالأبصار ، لأن الإدراك يوجب كيفية وإحاطة ، فنفى ما يوجب الكيفية والإحاطة دون الرؤية التى ليست فيها كيفية وإحاطة . ولو لم تكن الرؤية جائزة عليه تعالى ، لكان سؤال موسى عليه السلام : (أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) جهلا وكفرًا ، ولما علق الله تعالى الرؤية بشريطة استقرار الجبل بقوله : (فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) وكان ممكناً فى العقل استقراره لو أقره الله .

وقالوا فى هذا المقام إن الله تعالى اطلع على قلوب خلقه ، فوجد أشوقها إليه قلب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعجل له الرؤية فى الدنيا ليلة المعراج ، قبل أن يراه المؤمنون فى الآخرة ، فخص من بين الخلائق بهذه الرؤية ، كماخص سيدناموسى عليه السلام بالكلام، واحتجوا بخبر ابن عباس وأسماءوأنس رضى الله عنهم وينوّه سيدى العارف بالله الشيخ أحمد الحلوانى الخليجى رضى الله عنه بتلك الرؤية فى قوله :

بالعين قد شاهدته متفردا فالعين فلتنعم بهاتيك النعم
أكرومة لك لا تضاهى رفعة مخبوءة لك يا مقرب فى القدم

ويقول المغفور له الشيخ الباجورى فى حاشيته على جوهرة التوحيد : وقد نفت

السيدة عائشة رضى الله عنها وقوع الرؤية للنبى صلى الله عليه وسلم ، لكن قدم عليها ابن عباس لأنه مثبت لأنه رأى ربه سبحانه وتعالى بعينى رأسه وهما فى محلهما ، خلافاً لمن قال حولا لقلبه ، والقاعدة (أى الأصولية) أن المثبت مقدم على النافى ، حتى قال معمر بن راشد : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس . وأضاف الشيخ رحمه الله : وكان صلى الله عليه وسلم يراه تعالى فى كل مرة من مرات المراجعة [انظر التفصيل فى مبحث الإسراء والمعراج فى المباحث التالية] .

وجاء فى الحاشية المذكورة كذلك :

أما رؤيته تعالى مناماً ، فنقل عن القاضى عياض أنه لا نزاع فى وقوعها وصحتها ، فإن الشيطان لا يتمثل به تعالى كما لا يتمثل بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذكر بعضهم الخلاف ، وقال بعضهم إن الشيطان يتمثل بالله دون النبى ، والفرق أن النبى بشر ، فيلزم فى التمثل به اللبس بخلاف المولى سبحانه فأمره معلوم . وحكى عن الإمام أحمد بن حنبل أنه رأى المولى سبحانه وتعالى فى المنام تسعاً وتسعين مرة وقال : وعزته إن رأيته تمام المائة لأسأليه فرآه فقال : سيدى ومولاى : ما أقرب ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ قال : تلاوة كلامى ، فقال : بفهم أو بغير فهم ، فقال : : يا أحمد بفهم وبغير فهم .

أقول وما أوسع فضل الله على عباده من العلماء وغيرهم ، وهو الغنى عنهم وعن عملهم ، وقد دخلت على شيخى العارف بالله سيدى الشيخ عبد السلام الحلوانى فى أواخر عمره ، طيب الله ثراه ، فوجدته أبيض الوجه ، مع أنه كان قمحى اللون ، وكان شعر ذقنه كأسلاك الفضة بريقاً ، وعجبت يومها لمنظره الذى كان ينطق بولايته حتى لمن يراه أول مرة دون معرفة سابقة ، وبعد أن سلمت عليه جلست أتطلع إلى أنواره الباهرة ، فإذا به يقول لى فى انكسار واضح : دا ربنا ده عظيم جداً ، إذا كان الواحد يراه تعالى وكأنه نور فى نور ، ويقول : أنا أغفر لعبدى ولا أبالى ، ثم أضاف رضى الله عنه : وصحيح ها يبالى من مين ؟ فعلمت أنه قائم من النوم بعد هذه الرؤيا مباشرة ، وعلمت كذلك أنه قريب الانتقال إلى رضوان الله وهو ما كان ، طيب الله قراره .

الشيخ الأكبر والتوحيد :

وفى كلمتى الشهادتين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، يقول سيدى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى رضى الله عنه فى الباب السابع والستين من الفتوحات :

شهد الله لم يزل أزلا أنه لا إله إلا هو الله
ثم أملاكه بذا شهدت أنه لا إله إلا هو الله
وأولو العلم كلهم شهدوا أنه لا إله إلا هو الله
ثم قال الرسول قولوا معى إنه لا إلـه إلا هو الله
أفضل ما قلته وقال به من قبلنا لا إلـه إلا الله

«قال الله جل ثناؤه فى كتابه العزيز : (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ، ثم قال : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله» الحديث ، فقال سبحانه : (وأُولُو العلْمِ) ولم يقل وأولو الإيمان ، فإن شهادته بالتوحيد لنفسه ما هى عن خبر فيكون إيمانًا ، ولهذا الشاهد فيما يشهد به لايكون إلا عن علم ، وإلا فلا تصح شهادته . ثم إنه عز وجل عطف الملائكة وأولى العلم على نفسه بالواو ، وهو حرف يعطى الاشتراك ، ولا اشتراك هنا إلا فى الشهادة قطعًا ، ثم أضافهم إلى العلم لا إلى الإيمان ، فعلمنا أنه أراد من حصل له التوحيد من طريق العلم الفطرى أو الضرورى ، لامن طريق الخبر كأنه يقول : وشهدت الملائكة بتوحيدى بالعلم الضرورى من التجلى الذى أفادهم العلم ، وقام لهم مقام النظر الصحيح فى الأدلة ، فشهدت لى بالتوحيد كما شهدت لنفسى ، وأولو العلم بالنظر العقلى الذى جعلته فى عبادى ، ثم جاء بالإيمان بعد ذلك فى الرتبة الثانية من العلماء ، وهو الذى يعول عليه فى السعادة ، فإن الله به أمر ، وسميناه علمًا لكون المخبر هو الله ، فقال تعالى : (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ) ، وقال تعالى (وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ)

حين قسم المراتب فى آخر سورة إبراهيم من القرآن العزيز ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصحيح : «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلّا الله دخل الجنة» ، ولم يقل هنا «يؤمن» فإن الإيمان موقوف على الخبر وقد قال تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) ، وقد علمنا أن لله عبادًا كانوا فى فترات وهم موحدون علمًا ، وما كانت دعوة الرسل قبل رسول الله صلى عليه وسلم عامة ، فيلزم أهل كل زمان الإيمان ، فعم بهذا الكلام جميع العلماء بتوحيد الله ، المؤمن منهم من حيث ما هو عالم به من جهة الخبر الصدق الذى يفيد العلم ، لا من جهة الإيمان وغير المؤمن ، فالإيمان لايصح وجوده إلا بعد مجىء الرسول ، والرسول لا يثبت حتى يعلم الناظر العاقل أن ثمّ إلـٰها ، وأن ذاك الإله واحد لابد من ذلك ، لأن الرسول من جنس من أرسل إليهم ، فلا يختص واحد من الجنس دون غيره إلا لعدم المعارض وهو الشريك ، فلا بد أن يكون عالمًا بتوحيد من أرسله وهو الله تعالى . . .

« فإذا قال العالم : لا إله إلاّ الله لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم له : قل لا إله إلا الله ، عن أمر الله ، سمى مؤمنًا ، فإنّ الرسول أوجب عليه أن يقولها ، وقد كان فى نفسه عالمًا بها ، ومخيراً فى التلفظ بها . وعدم التلفظ بها ، فهذه مرتبة العالم بتوحيد الله من حيث الدليل ، فمن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة بلا شك ولا ريب وهو من السعداء ، فأما من كان فى الفترات فيبعثه الله أمة وحده كقسّ بن ساعدة لا تابع له لأنه ليس بمؤمن (أى لم يكن إيمانه بأخذ الدين عن الرسول) ولا هو متبوع لأنه ليس برسول من عند الله بل هو عالم بالله . . .

« فإذا جاء الرسول وبين يديه العلماء بالله وغير العلماء بالله ، وقال للجميع قولوا : لا إله إلا الله، علمنا أنه صلى الله عليه وسلم فى ذلك القول معلم لمن لا علم له بتوحيد الله من المشركين ، وعلمنا أنه فى ذلك القول أيضا معلم للعلماء بالله وتوحيده أن التلفظ به واجب ، وأنه العاصم لهم من سفك دمائهم وأخذ أموالهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم

إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله " ، ولم يقل حتى يعلموا ، فإن فيهم العلماء ، فالحكم هنا للقول لا للعلم ، والحكم يوم تبلى السرائر فى هذا للعلم لا للقول ، فقالها هنا العالم والمؤمن والمنافق الذى ليس بعالم ولا مؤمن ، فإذا قالوا هذه الكلمة عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها فى الدنيا والآخرة ، وحسابهم على الله فى الآخرة من أجل المنافق ، ومن ترتب عليه حق لأحد فلم يؤخذ منه ، وأما فى الدنيا فمن أجل الحدود الموضوعة ، فإن قول لا إله إلا الله لايسقطها فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأما حسابهم على الله فى الآخرة يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أُجِبْتُمْ فيقولون (لا علم لنا) أى لم نطلع على القلوب (إنك أنت علام الغيوب) تأكيد وتأييد لما ذكرنا » .

وما أروع ما يقول سيدى الشيخ الأكبر ، رضى الله عنه بعد ذلك :

قال صلى الله عليه وسلم : « بنى الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وهى القلب ، وأن محمداً رسول الله حاجب الباب ، وإقام الصلاة المجنبة اليمنى ، وإيتاء الزكاة المجنبة اليسرى ، وصيام رمضان التقدمة ، والحج الساقة[1] ، وربما كانت الصلاة التقدمة لكونها نوراً ، وتكون الزكاة الميمنة لأنها إنفاق يحتاج إلى قوة لإخراج ما كان يملكه عن ملكه ، ويكون الحج الميسرة لما فيه من الإنفاق والقرابين حيث تجتمع بالزكاة فى الصدقة والهدية وكلاهما من أعمال الأيدى ، ويكون الصوم فى الساقة ، فإن الخلف نظير الإمام وهو ضياء ، وهكذا يكون الإيمان الإلهى يوم القيامة ، فيأتى الإيمان يوم القيامة فى صورة ملك على هذه الصفة ، فأهل لا إله إلا الله فى القلب ، وأهل الصلاة فى التقدمة ، وأهل الزكاة وهى الصدقة فى الميمنة ، وأهل الحج فى الميسرة ، وأهل الصيام فى الساقة ، جعلنا الله ممن قام ببناء بيته على هذه القواعد ، فكان بيته « الإيمان » وحدُّه من القبلة الصلاة ومن الشمال الصوم ، ومن الغرب صدقة السر ، ومن الشرق الحج ، فلقد سعد ساكنه . . .

« وإنما قال الشارع : حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، ولم يقل محمد رسول الله (يشير إلى الحديث السابق) لتضمن الشهادة بالتوحيد الشهادة بالرسالة ، فإن

---

(١) ساقة الجيش هى مؤخرته .

القائل لا إله إلا الله لا يكون مؤمناً إلا إذا قالها ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قالها لقوله فهو عين إثبات رسالته ، فلما تضمنت هذه الكلمة الخاصة الشهادة بالرسالة لهذا لم يقل قولوا : محمد رسول الله . . .

« واعلم أن التلفظ بشهادة الرسالة المقرونة بشهادة التوحيد (أى فى قول القائل لا إله إلا الله محمد رسول الله) فيه سر إلهى عرفنا به الحق سبحانه ، وهو أن الإله الواحد الذى جاء بوصفه ونعته الشارع ما هو التوحيد الإلهى الذى أدركه العقل ، فإن ذلك لا يقبل اقتران الشهادة بالرسالة مع الشهادة بالتوحيد من حيث ما يعلمه الشارع ، ما هو التوحيد من حيث ما أثبته النظر العقلى . . . »

دليل الوحدانية :

يقول كذلك سيدى الشيخ الأكبر فى الباب الثانى والسبعين ومائة فى مقام التوحيد :

« أحد ما مثله أحد　　بجمال النعت منفرد
الذى قـام الوجود به　　أمرنا عليـه ينعقـد

« اعلم أن التوحيد التعمل فى حصول العلم فى نفس الإنسان أو الطالب بأن الله الذى أوجده واحد لاشريك له فى ألوهيته ، والوحدة صفة الحق ، والاسم منه الأحد والواحد ، وأما الوحدانية فقيام الوحدة بالواحد ، فالتوحيد نسبة فعل من الموحِّد يحصل فى نفس العالم به أن الله واحد .

« قال تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) ، وقد وجد الصلاح وهو بقاء العالم ووجوده فدل على أن الموجد له لو لم يكن واحداً ما صح وجود العالم . . .

« وهكذا استدل الخليل عليه السلام فى الأقوال ، فأعطاه النظر أن الأفول يناقض حفظ العالم — فالإله لا يتصف بالأفول ، أو الأفول حادث لطروئه على الآفل بعد أن لم يكن آفلا — والإله لا يكون محلا للحوادث . . . قال تعالى فى قصة إبراهيم هذه : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ) ولم يكن له غير هذا ،

فقوله حجتنا أى مثل حجتنا التى نصبناها دليلا على توحيدنا وهى قولنا (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا) » .

نفى الحلول والاتحاد عن الصوفية :

أقول وقد طعن بعض أهل العلم على الصوفية بأنهم خرجوا على التوحيد الصحيح وقالوا بالحلول والاتحاد ، واستندوا فى اتهامهم هذا إلى ماذهبت إليه طوائف زائغة عن الإسلام تدعى أنها صوفية ، وهؤلاء لا يعنينا من أمرهم شىء . والصوفية الذين نعتد بهم ونعتز ، هم المتمسكون بالكتاب والسنة ، وهؤلاء يجب أن نحسن الظن بعقيدتهم ، لأنهم أهل علم وعمل وحال ، وقد تكون لهم عبارات تدق عن فهم غيرهم ، فيخفى مقصودهم منها على من لم يذق ذوقهم فيرميهم بماهم منه برآء .

فالاتحاد حيث ورد فى كلام السادة الصوفية الصادقين ، لا يقصدون به اتحاد ذات فى ذات ، وحاشا أن يتحد القديم الخالق بالحادث المخلوق ، وإنماهم يقصدون به فناء مراد العبد فى مراد الله تعالى ، كما يقول سيدى على وفا رضى الله عنه :

وعلمك أن كل الأمر أمـــرى هو المعنى المسمى باتحـــاد

وقد قلت فى كتابى « منهاج الصوفية » الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى أغسطس ١٩٦٦ :

ويرمى أعداء التصوف سيدى محيى الدين بن عربى وهو شيخ التصوف الأكبر بالحلول والاتحاد ، مع أنه يقول فى كتابه الفتوحات المكية ما نصه :

« وأعظم دليل على نفى الحلول والاتحاد الذى يتوهمه بعضهم ، أن تعلم عقلا أن القمر ليس فيه من نور الشمس شىء ، وأن الشمس ما انتقلت إليه بذاتها ، وإنما كان القمر مجلاها ، فكذلك العبد ليس فيه شىء من خالقه ولا حل فيه » .

وقال رضى الله عنه شعراً :

« ودع مقالة قوم قال عالمهم بأنه بالإله الواحد اتحدا

الاتحاد محال لا يقول بـــه إلاجَهُول به عن عقله شردا
وعن شريعته وعن حقيقته فاعبد إلهك لاتشرك به أحدا »

وقد نبه سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى مقدمة كتاب « اليواقيت والجواهر » إلى أن سيدى محيي الدين بن عربى كان متقيداً بالكتاب والسنة ، ويقول :

كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك ، وجميع ما لم يفهمه الناس من كلامه إنما هو لعلو مراتبه ، وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة ، وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه . وأضاف رضى الله عنه : كما أخبرنى بذلك سيدى الشيخ أبو طاهر المغربى نزيل مكة المشرفة ، ثم أخرج لى نسخة الفتوحات التى قابلها على نسخة الشيخ التى بخطه فى مدينة قونية ، فلم أرفيها شيئًا مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت الفتوحات . . .

ويقول كذلك سيدى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتاب « لواقح الأنوار القدسية » :

« وقد توقفت حال اختصار الفتوحات المكية فى مواضع كثيرة ، لم يظهر لى موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة ، فحذفتها من هذا المختصر ، وكنت أظن أن المواضع التى حذفتها ثابتة عن الشيخ محيي الدين ، حتى قدم علينا الأخ العالم الشريف شمس الدين المدنى (المتوفى سنة ٩٥٥هـ) فذاكرته فى ذلك ، فأخرج لى نسخة من الفتوحات التى قابلها على النسخة التى عليها خط الشيخ محيي الدين نفسه بقونية ، فلم أرفيها شيئًا مما توقفت فيه وحذفته ، فعلمت أن النسخ التى فى مصر الآن كلها كتبت من النسخة التى دسوا على الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنة والجماعة ، كما وقع له ذلك فى كتاب الفصوص وغيره » .

أقول : وسيدى الشيخ محيي الدين هو القائل : « ما قال بالاتحاد إلاّ أهل الإلحاد ، وما قال بالحلول إلاّ من دينه معلول . وهو القائل (باب ١٩٩ فتوحات) : القديم لايكون قط محلاً للحوادث ، ولا يكون حالاً فى المحدث . وإنما الوجود الحادث والقديم مربوط بعضه ببعض ربط إضافة وحكم ، لا ربط وجود عين بعين ،

فإن الرب لا يجتمع مع عبده فى مرتبة واحدة أبداً » فهل بعد هذا الكلام الصريح والصحيح يرمون الشيخ الأكبر بالحلول والاتحاد ، وحاشاه .

أما وحدة الوجود التى ينسبها أعداء الدين إلى السادة الصوفية ، ويتهمون بها سيدى الشيخ الأكبر محيى الدين ، فقد بين أمرها الدكتور عبد الوهاب عزام رحمه الله حين قال :

« ينبغى أن يفرق بين وحدة الوجود التى رآها بعض فلاسفة اليونان ووحدة الوجود فى رأى العطار وغيره من الصوفية ، فالفلاسفة يرون أن الروح والمادة شىء واحد ، والصوفية يفرقون بين الله والعالم ، ولكن يرون أن هذا العالم الظاهر لاوجود له حقاً ، وإنما الوجود لله تعالى ، فليس هو العالم ولا العالم هو » .

أقول ومِنْ كلامه تدرك أن الصوفية على عقيدة صحيحة ، وهى أن الله تعالى واجب الوجود ، وهو الذى يمد كل الممكنات بالوجود ، فوجود الممكنات ليس وجوداً ذاتياً ، بل هو بإيجاد الله تعالى ، وهو مفهوم وحدة الوجود عند الصوفية ، وشتان بين فهمهم الصحيح وفهم الفلاسفة الخاطئ .

ويقول العارف بالله سيدى مصطفى البكرى فى نفى الحلول والاتحاد فى كتابه : « السيوف الحداد فى أعناق أهل الزندقة والاتحاد » :

دعوى الحلول والاتحاد جهالة والوصل ثم الفصل جل الله
والحق نزه عن خطور خواطر بالبال قد خطرت تعالى الله
واتبع شريعة أحمد خير الورى من حاد عنه ربنا أرداه

وإليك ما قاله الإمام أبو الحسن النورى ، رضى الله عنه :

أما القرب بالذات فتعالى الله الملك الحق عنه ، فإنه يتقدس عن الحدود والأقطار والنهاية والمقدار ، ما اتصل به مخلوق ، ولا انفصل عنه حادث مسبوق به ، جلت الصمدية عن قبول الوصل والفصل .

فقرب هو فى نعته محال ، وهو تدانى الذوات . وقرب هو واجب فى نعته ، وهو قرب بالعلم والرؤية ، وقرب هو جائز فى وصفه يخص به من يشاء من عباده ، وهو قرب الفضل باللطف .

أقول : وقرب الفضل باللطف هذا ، هو مقام فى التصوف يذوقه الخواص من أولياء الله ، ولا يعبرون عنه بألفاظ ، لأنه فوق التعبير ، ويقول فيه الإمام الغزالى رضى الله عنه : يضيق نطاق النطق عنه ، وكل الذى أقوله لكم :

فكان ما كان مما لست أذكره فظنّ خيراً ولاتسأل عن الخبر

وقال عنه الإمام أبو الحسن الشاذلى رضى عنه :

أما طريق الخاصة فطريق مسلوك ، تضمحل العقول فى أقل القليل من وصفه ، وينوه بمقام القرب هذا سيدى الشيخ يوسف النبهانى فى قوله :

لا تسل وصف حبهم فهو سر بسوى الذوق ما له إفشـــاء

أقول : ومن ذاق عرف . وأردد قول شيخى وسيدى الشيخ على عقل طيب الله ثراه من إلهامه الفورى الذى نقلناه عنه ، وكان إلهامه يتدفق من عطاء الله تدفق السيل الجارف كما هو مشهور :

شراب الحب يعرف بالمـذاق وماكل السُّقاة لـه بسـاق
دعاة الحب أكـثر ماتلاقى وقلّ الصادقون فمـا تـلاقى
وليس بعـاشق من لا تـراه من الشهوات طهّر والنفـاق
إذا ما عشت لا أنسى إلهـى به أسمو مـن الأخرى المراقى
يعزّ على ترك الحب عنـدى ولو بلغت بى الـروح التراقى
ألا يا ساقى العشـاق مهـلا تعال املأ كؤوسك مـن حقاقى
تركت جميع خلق الله دونى شغلت عن الخلائق باشتيـاق
ومن عرف المحبة عن يقـين محال أن يميـل إلى فـراق

ولتقريب مذاق السادة الصوفية للقارئ العزيز ، ننقل إليه ما قاله سيدى ذو النون المصرى فى مناجاته :

« إلهى ، ما أصغيت إلى صوت حيوان ، ولا إلى حفيف شجر ، ولا خرير ماء ، ولا ترنم طائر ، ولا تنغم طل ، ولا دوىّ ريح ، ولا قعقعة رعد ، إلا وجدتها شاهدة بوحدانيتك ، دالة على أنه ليس كمثلك شىء » .

أقول : أرأيت فى مناجاته كيف فنى عن نفسه وبقى بربه ، فملأ الله عليه فراغ قلبه ، فلم ير آثار الكون فى ذاتها ، بل رأى فيها آيات مولاها ، فحقق ما يوجهنا إليه العارفون فى قولهم : ما خلق الكائنات لتراها بل لترى فيها مولاها .

همة الخواص :

ويحكى لنا سيدى ذو النون المصرى رضى الله عنه أنه رأى امرأة ببعض سواحل الشام قال : فقلت لها : من أين أقبلت رحمك الله ؟ قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ، قلت : وإلى أين تريدين ؟قالت : إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، قلت صفيهم لى ، فأنشأت تقول :

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسمو إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطلبهم للواحد الأحد

أقول ، وقد شمل الوصف المتقدم خواص الأُمة المحمدية ، كما شمل أهل الصُّفة ما وصفهم به الله تعالى فى وصاية الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بهم فى قوله تعالى فى سورة الكهف : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً) . وقد جاءت تلك الوصاية بعد قصة أهل الكهف الذين كانوا فى أُمة سابقة ، وتعلَّقت همتهم بالله تعالى ، فوصفهم سبحانه بقوله فى السورة نفسها : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَنْ شَطَطًا ، هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ، وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ

رَحمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً) ، وقد احتموا فى الله تعالى فحماهم وآواهم فى رعايته ، وقال سبحانه : (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) ، وشملت رعاية الكلب الذى أحبهم وتعلّق بهم : (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ) ، ثم أراهم آية فى رعايتهم حيث أنامهم فى الكهف أكثر من ثلثمائة سنة ، فلما قاموا قالوا : (لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) .

وفى قوله تعالى : (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) يقول الإمام القشيرى رضى الله عنه فى « لطائف الإشارات » : أخذناهم عن إحساسهم بأنفسهم ، واختطفناهم عن شواهدهم بما استغرقناهم فيه من حقائق ما كاشفناهم به من شهود الأحدية ، وأطلعناهم عليه من دوام نعت الصمدية .

وفى قوله تعالى : (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ) قال فى إشاراته رضى الله عنه : يقال إنهم فتية لأنهم آمنوا على الوهلة بربهم ، آمنوا من غير مهلة لما أتتهم دواعى الوصلة . ويقال فتية لأنهم قاموا لله ، وما استقروا حتى وصلوا[1] إلى الله .

وفى قوله تعالى : (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ، وَرَبَطْنَا عَلَى قلوبهمْ) يقول رضى الله عنه : لاطفهم بإحضارهم ، ثم كاشفهم فى أسرارهم ، بما زاد من أنوارهم ، فلقاهم أولا التبيين ، ثم رقاهم عن ذلك باليقين . ويقال : (رَبَطْنَا عَلَى قلوبهمْ) بأن أفنيناهم عن الأغيار ، وأغنيناهم عن التفكر بما أولياناهم من أنوار التبصر ، ويقال ربطنا على قلوبهم بما أسكنا فيها من شواهد الغيب ، فلم تسنح فيها هواجس التخمين ولا وساوس الشياطين .

وفى قوله تعالى : (لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذَن شَطَطًا) قال رضى الله عنه : من أحال الشىء على الحوادث فقد أشرك بالله ، ومن قال إن الحوادث من غير الله فقد اتخذ إلهاً من دونه .

---

(١) الوصول إلى الله معناه الوصول إلى حضرة يشهد فيها الأفاعل إلا الله ، فيذوق ذلك بإحساسه ذوق الواصلين ، كما رأيت فى مناجاة سيدى ذى النون المصرى التى مرت عليك .

أقول : ولأن الإيمان بالله تعالى وتوحيده سبحانه توحيدًا خالصاً من كل شائبة هو أساس الأعمال الصالحة ولا تقبل بغيره ، فقد قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم فى سورة الزمر : (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِين مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبطَنَّ عمَلكَ وَلَتَكونَنَّ مِنَ الْخَاسرينَ * بَل اللهَ فَاعْبُدْ وَكنْ مِنَ الشَّاكِرينَ) ولئن كان الخطاب له صلى الله عليه وسلم فالمقصود به أمته من باب : إياك أعنى واسمعى يا جارة .

والإيمان به سبحانه يقتضى الإيمان برسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبإخوانه النبيين والمرسلين الذين سبقوه فى الدعوة إلى الله ، وكذلك الإيمان بكل ما جاء به من البعث بعد الموت ، والجنة ، والنار ، والثواب والعقاب ، وكذلك ما أخبرنا به من الغيبيات الأخرى كالملائكة ، والجن ، والعرش ، والكرسى ، والحوض ، والميزان ، وصحف الأعمال . . إلخ لأنه سبحانه وتعالى يقول فى سورة البقرة :

(آلَم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُون بالْغَيْبِ وَيُقيمونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزل مِنْ قَبلِكَ وَبالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون) .

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الأمور وتركنا كما قال على مثل البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها إلا هالك . نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتباعه، والتأسى به فى عقيدته ، وأقواله ، وأفعاله ، وأحواله ، بمنه تعالى وكرمه ؛ وقد ترك لنا من بعده صلى الله عليه وسلم التراث الخالد والنور المبين فى الكتاب والسنة ، فمن تمسك بهما فقد اعتصم بالله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم .